سـورة القمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿اقْتَرَبَتِ﴾ أي قربت مثل: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧] على ما بيناه. فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة؛ لأنه قد مضى أكثر الدنيا كما روى قتادة عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ وقد كادت الشمس تغيب فقال: «ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل مابقي من هذا اليوم فيما مضى» [(١)] وما نرى من الشمس إلا يسيرا.

وقال كعب ووهب: الدنيا ستة آلاف سنة [(٢)]. قال وهب: قد مضى منها خمسة آلاف سنة وستمائة سنة [(٣)]. ذكره النحاس.

قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وقد انشق القمر. وكذا قرأ حذيفة « اقتربت الساعة وقد انشقّ القمر » بزيادة « قد » وعلى هذا الجمهور من العلماء؛ ثبت ذلك في «صحيح البخاري» وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وأنس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم. وعن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ يقول ذاهب قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [(٤)]. ولفظ البخاري عن أنس قال: انشق القمر فرقتين [(٥)]. وقال قوم: لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر؛ أي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر؛ وأن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره. وكذا قال القشيري. وذكر الماوردي: أن هذا قول الجمهور، وقال: لأنه إذا انشق ما بقي أحد إلا رآه؛ لأنه آية والناس في الآيات سواء. وقال الحسن: اقتربت الساعة فإذا جاءت انشق القمر بعد النفخة

---

(١) ضعيف: الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣١١)، وعزاه للبزار وفيه: خلف بن موسى، عن أبيه وقد وثّقا، وبقية رجاله رجال الصحيح، وضعفه ابن كثير لتفرد خلف بن موسى بن خلف العمى به، عن أبيه كما في تفسيره (٧/ ٣٦١).

(٢، ٣) سبق أنه من الإسرائيليات.

(٤) متفق عليه: البخاري(٤٨٦٧) في التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) في صفات المنافقين وأحكامهم.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٨٦٨) في التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) في صفات المنافقين وأحكامهم.

الثانية. وقيل: ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ أي وضح الأمر وظهر؛ والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح؛ قال:

أقيمُوا بَني أمي صُدُورَ مَطِيّكُمْ فإنِّي إلى حَيٍّ سواكم لأَمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ وشُدَّت لِطيَّاتٍ مَطايا وأَرْحُلُ

وقيل: انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها، كما يسمى الصبح فلقا؛ لانفلاق الظلمة عنه. وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة:

فلمَّا أدْبَرُوا ولَهُمْ دَوِيٌّ دعانا عِند شَقِّ الصُّبحِ داعِ

قلت: وقد ثبت بنقل الأحاد العدول أن القمر انشق بمكة، وهو ظاهر التنزيل، ولا يلزم أن يستوي الناس فيها؛ لأنها كانت آية ليلية؛ وأنها كانت باستدعاء النبي ﷺ من الله تعالى عند التحدي. فروي أن حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضبًا من سب أبي جهل الرسول ﷺ طلب أن يريه آية يزداد بها يقينا في إيمانه. وقد تقدم في الصحيح أن أهل مكة هم الذين سألوا وطلبوا أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود [١] وغيره. وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت، وأن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ [٢]. وقد قيل: هو على التقديم والتأخير، وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة؛ قاله ابن كيسان. وقد مر عن الفراء أن الفعلين إذا كانا متقاربي المعنى فلك أن تقدم وتؤخر عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ هذا يدل على أنهم رأوا انشقاق القمر. قال ابن عباس: اجتمع المشركون إلى رسول الله ﷺ وقالوا: إن كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين: نصف على أبي قبيس ونصف على قعيقعان؛ فقال لهم رسول الله ﷺ «إن فعلت تؤمنون» قالوا: نعم؟ وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا؛ فانشق القمر فرقتين، ورسول الله ﷺ ينادي المشركين: «يا فلان يا فلان اشهدوا» [٣]. وفي حديث ابن مسعود: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا من سحر ابن أبي كبشة؛ سحركم فاسألوا السُّفار؛ فسألوهم فقالوا: قد رأينا القمر انشق فنزلت [٤] ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ أي إن يروا آية تدل على صدق محمد ﷺ أعرضوا عن الإيمان ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي ذاهب؛ من قولهم: مر الشيء واستمر إذا ذهب؛ قاله أنس وقتادة ومجاهد [٥] والفراء والكسائي وأبو عبيدة، واختاره النحاس. وقال أبو العالية والضحاك: محكم قوي شديد [٦]؛ وهو من المرة وهي القوة؛ كما قال لقيط:

حتى استمرّتْ عَلَى شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ مُرُّ العَزِيمَةِ لاَ قحما ولا ضَرَعا

---

(١) متفق عليه: البخاري في التفسير (٤٨٦٤، ٤٨٦٥)، ومسلم (٢٤٠/ ٤٤، ٤٥) في صفات المنافقين وأحكامهم.
(٢) ضعيف يحتمل التحسين: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط: الطبري (٢٧/ ٩١) في تفسيره.
(٣) ضعيف: السيوطي في الدر (٦/ ١٧٧) وعزاه لأبي نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك، وضعفه الحافظ ابن حجر (٧/ ١٨٢) في الفتح.
قلت: وذكر بدر غريب هنا.
(٤) صحيح: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٧/ ٣٦٤).
(٥) صحيح إلى قتادة ومجاهد: السابق (٢٧/ ٩٠).
(٦) نظر: البغوي في تفسيره (٧/ ٤٢٦).

وقال الأخفش: هو مأخـوذ من إمرار الحبل وهو شدة فتله. وقيل: مـعناه مر من المرارة. يقال: أمر الشيء صار مرا، وكذلك مَرَّ الشيء يَمرُ بالفتح مـرارة فهو مُرٌّ، وأَمَرَّهُ غيره ومَرَّره. وقال الربيع: مستمر نافذ. يمان: ماضٍ. أبو عبيدة: باطل. وقيل: دائم. قال:

وليس على شيء قويم بمُسْتَمِرْ

أي بدائم. وقيل: يشبـه بعضه بعضـا؛ أي قد استمرت أفـعال محمد على هـذا الوجه فلا يأتي بشيء له حقيـقة بل الجميع تخيـيلات. وقيل: معناه قد مـر من الأرض إلى السماء. ﴿وَكَذَّبُوا﴾ نبينا ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي ضلالاتهم واختياراتهم. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي يستقر بكل عامل عمله، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار. وقرأ شيبة «مُسْتَقَر» بفتح القاف؛ أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقـدم وتأخر. وقد روي عن أبي جعفر بن القعقاع: «وكل أمر مُـسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء [(١)] جعله نعتا لـ﴿أَمْرٍ﴾و﴿كُلُّ﴾ على هذا يجوز أن يرتفع بالابتداء والخبر محذوف، كأنه قال: وكل أمر مـستقر في أم الكتاب كـائن. ويجوز أن يرتفع بالعطف على السـاعـة؛ المعنى: اقتربت الساعة وكل أمر مستقر؛ أي اقترب استقرار الأمور يوم القيامة. ومن رفعه جعله خبرا عن ﴿كُلُّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي من بعض الأنباء؛ فذكر سـبحانه من ذلك ما علم أنهم يحتاجون إليه، وأن لهم فيه شفاء. وقد كان هناك أمور أكثر من ذلك، وإنما اقتص علينا ما علم أن بنا إليه حاجة وسكت عما سوى ذلك؛ وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي جاء هؤلاء الكفار من أنباء الأمم الخالية: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي ما يزجرهم عن الكفر لو قبلوه. وأصله مزتجر فقلبت التاء دالا؛ لأن التاء حرف مهـموس والزاي حرف مجهور، فأبدل من التاء دالا توافـقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر. و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ من الزجر وهو الإنهاء، يقال: زَجَرَهُ وازْدَجَرَهُ فَانْزَجَرَ وازْدَجَرَ، وزجرته أنا فانزجر أي كففته فكف، كما قال:

فأصبحَ ما يطلبُ الغانيا   تُ مُزْدَجَراً عن هواه ازدجاراً

وقرئ: «مُزجر» بقلب تاء الافتعال زايا وإدغام الزاي فيها؛ حكاه الزمخشري.

قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾ يعني القرآن وهو بدل من ﴿مَا﴾ من قوله: ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف؛ أي هو حكمة. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ إذا كذبوا وخالفوا كـما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]فـ ﴿مَا﴾ نفي أي ليـست تغني عنهم النذر. ويجوز أن يـكون استفـهامـا بمعنى التوبيخ؛ أي فـأي شيء تغني، النذر عنهم وهم مـعرضون عـنها و﴿النُّذُرُ﴾ يجوز أن تكون بمعنى الإنـذار، ويجوز أن تكون جمع نذير. قـوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عنهم. قيل: هذا منسوخ بآية السيف [(٢)]. وقيل: هو تمام الكلام. ثم قال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في ﴿يَوْمَ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أو ﴿خُشَّعًا﴾ أو فعل مضمر تقديره واذكر يوم. وقيل: على حذف حرف الفـاء وما عملت فيه من جواب الأمر، تقـديره: فتول عنهم فإن لهم يوم يدعو الداعي. وقيل: تول عنهم يا محمد فقـد أقمت الحجة وأبصرهم يوم يدعو الداعي. وقيل:

---

(١) قراءة متواترة :تقريب النشر (ص١٧٧) .

(٢)لا يصح النسخ لعدم وجود تعارض بينهما .

أي أعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم، فإنهم يدعون ﴿إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ وينالهم عذاب شديد. وهو كما تقول: لا تسأل عما جرى على فلان إذا أخبرته بأمر عظيم. وقيل: أي وكل أمر مستقر يوم يدعوا الداعي. وقرأ ابن كثير« نُكْر» بإسكان الكاف (١)، وضمها الباقون وهما لغتان كَعُسْر وعُسُر وشُغْل وشُغُل، ومعناه الأمر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة. والداعي هو إسرافيل عليه السلام. وقد روي عن مجاهد وقتادة أنهما قرآ :« إلى شيء نُكِرَ » بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول.﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ الخشوع في البصر الخضوع والذلة، وأضاف الخشوع إلى الأبصار لأن أثر العز والذل يتبين في ناظر الإنسان؛ قال الله تعالى:﴿ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ [النازعات: ٩] ،وقال تعالى: ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥]. ويقال: خشع واختشع إذا ذل. وخشع ببصره أي غضه. وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو «خَاشِعا » بالألف (٢) ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد، نحو :« خاشعاً أبصارهم » والتأنيث نحو:﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣] ويجوز الجمع نحو ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ قال [الحارث بن دوس الإيادي]:

وَشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهم ... مِنْ إيادِ بن نِزارِ بن مَعَد

و ﴿خُشَّعًا﴾ جمع خاشع والنصب فيه على الحال من الهاء والميم في ﴿عَنْهُمْ﴾ فيقبح الوقف على هذا التقدير على ﴿عَنْهُمْ﴾. ويجوز أن يكون حالا من المضمر في ﴿يَخْرُجُونَ﴾ فيوقف على ﴿عَنْهُمْ﴾. وقرئ:« خُشَّعٌ أبصارهم» على الابتداء والخبر، ومحل الجملة النصب على الحال، كقوله:

وجدته حَاضِراه الجودُ والْكَرَمُ

قوله تعالى:﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور واحدها جدث.﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾وقال في موضع آخر: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] فهما صفتان في وقتين مختلفين: أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخل بعضهم في بعض؛ فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها. الثاني: فإذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد له جهة يقصدها. و﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ معناه مسرعين؛ قاله أبو عبيدة. ومنه قول الشاعر:

بدِجْلَةَ دَارُهمْ ولقد أراهم ... بدِجْلَةَ مُهْطِعينَ إلى السَّماع

الضحاك: مقبلين (٣). قتادة: عامدين (٤). ابن عباس: ناظرين (٥). عكرمة: فاتحين آذانهم إلى الصوت (٦). والمعنى متقارب. يقال: هَطَع الرجل يَهْطَعُ هُطُوعا إذا أقبل على الشيء ببصره لا يقلع عنه؛وأهطع إذا مد عنقه وصوب رأسه. قال الشاعر:

تَعَبَّدَني نِمرُ بنُ سَعْدٍ وقد أَرى ... ونِمرُ بنُ سَعْدٍ لي مُطِيعٌ ومُهْطِعُ

(١، ٢) قراءتان متواترتان : تقريب النشر (ص١٧٧) .
(٣) كذا عند البغوي في تفسيره بلا عزو (٧/ ٤٢٨).
(٤) صحيح إلى قتادة : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٧) .
(٥) ضعيف : للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس ـ رضي الله عنهما. السابق (٢٧/٩٧) .
(٦) ذكره السيوطي(٦/ ١٧٨) في الدر،وعزاه لعبد بن حميد .

وبعيـر مُهْطَع: في عـنقه تصويب خـلقة. وأهطع في عَـدْوه أي أسرع. ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعني يوم القيامة لما ينالهم فيه من الشدة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ذكر جملاً من وقائع الأمم الماضية تأنيسا للنبي ﷺ وتغزية له. ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أي قبل قومك. ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ يعني نوحا. الزمخشري: فـإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَكَذَّبُوا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ﴾؟ قلت: معناه كـذبوا فكذبوا عبـدنا؛ أي كذبوه تكذيبـا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعـه قرن مكذب، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا؛ أي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبـوة رأسا كذبوا نوحا لأنه من جملة الرسل. ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ﴾ أي هو مجنون ﴿وَازْدُجِرَ﴾ أي زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل. وقيل: إنما قال: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ بلفظ ما لم يسم فاعله لأنه رأس آية. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ أي دعا عليهم حينئذ نوح فقال: رب ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي غلبوني بتـمردهم ﴿فَانتَصِرْ﴾ أي فانتـصر لي. وقـيل: إن الأنبياء كـانوا لا يدعون على قـومهم بالهلاك إلا بإذن الله عز وجل لهم فيه. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي فأجبنا دعاءه وأمرناه باتخاذ السفينة وفتحنا أبواب السماء ﴿بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي كثير؛ قاله السدي.

قال الشاعر:

أعينيّ جُودَا بالدُّموعِ الـهوَامر   على خيرِ بادٍ من مَعَدٍّ وحاضرِ

وقيل: إنه المنصب المتدفق.

ومنه قول امرئ القيس يصف غيثا:

رَاحَ تَمْريه الصبَّا ثم انْتَحَى   فيه شُؤْبُوبُ جَنُوبٍ مُنْهَمِرْ

الهَمْرُ: الصَّبُّ؛ وقد هَمَرَ الماءَ والدمع يَهْمِرُ هَمْـرا. وهَمَر أيضا إذا أكثر الكلام وأسرع. وهَمَر له من ماله أي أعطاه. قـال ابن عباس: فـفتحنا أبواب السـماء بماء منهمـر من غير سـحاب لم يقلع أربعين يوما (١). وقرأ ابن عـامر ويعقـوب: «فَفَتَّـحْنَا» مشددة على التكثـير (٢). الباقون ﴿فَفَتَحْنَا﴾ مخففـا. ثم قيل: إنه فتح رتاجها وسعة مـسالكها. وقيل: إنه المجرة وهي شرج السمـاء ومنها فتحت بماء منهمـر؛ قاله علي رضي الله عنه. ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ قال عـبيد بن عـمير: أوحى الله إلى الأرض أن تخرج ماءها فتفجرت بالعيون، وإن عينا تأخرت فغضب عليها فجعل ماءها مرا أجاجا إلى

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٥٢) ولم يعزه لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ والخبر غير موثق من ناحية الوحي فلا أعلم له إسناداً.

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١١٠).

يوم القيامة. ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر؛ حكاه ابن قتيبة. أي كان ماء السماء والأرض سواء. وقيل: : ﴿قُدِرَ﴾ بمعنى قضي عليهم. قال قتادة: قدر لهم إذا كفروا أن يغرقوا. وقال محمد بن كعب: كانت الأقوات قبل الأجساد، وكان القدر قبل البلاء؛ وتلا هذه الآية. وقال: ﴿الْتَقَى الْمَاءُ﴾ والالتقاء إنما يكون في اثنين فصاعدا؛ لأن الماء يكون جمعا وواحدا[١]. وقيل: لأنهما لما اجتمعا صارا ماء واحدا. وقرأ الجحدري « فالتقى الماءان ». وقرأ الحسن : «فالتقى الماوان » وهما خلاف المرسوم. القشيري: وفي بعض المصاحف «فالتقى الماوان» وهي لغة طيئ. وقيل: كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الأرض حارا مثل الحميم. ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾ أي على سفينة ذات ألواح. ﴿وَدُسُرٍ﴾ قال قتادة: يعني المسامير التي دسرت بها السفينة أي شدت[٢]؛ وقاله القرظي وابن زيد وابن جبير ورواه الوالبي عن ابن عباس. وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة: هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لأنها تَدْسُرُ الماء أي تدفعه، والدَّسْرُ الدفع والمخر[٣] ؛ ورواه العوفي عن ابن عباس قال: الدَّسْرُ كلكل السفينة.

وقال الليث: الدِّسَارُ خيط من ليف تشد به ألواح السفينة[٤]. وفي الصحاح: الدِّسَار واحد الدُّسر وهي خيوط تشد بها ألواح السفينة، ويقال: هي المسامير، وقال تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾. تَدْسُرُ أيضا مثل عُسُر وعُسْر. والدَّسْرُ الدفع ؛ قال ابن عباس في العنبر: إنما هو شيء يدسره البحر دسرا أي يدفعه[٥]. ودسره بالرمح. ورجل مدسر.

قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا. وقيل: بأمرنا. وقيل: بحفظ منا وكلاءة ،وقد مضى في «هود ». ومنه قول الناس للمودع: عين الله عليك؛ أي حفظه وكلاءته. وقيل: بوحينا. وقيل: أي بالأعين النابعة من الأرض. وقيل: بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها، وكل ما خلق الله تعالى يمكن أن يضاف إليه. وقيل: أي تجري بأوليائنا، كما في الخبر: مرض عين من عيوننا فلم تعده[٦]. ﴿جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي جعلنا ذلك ثوابا وجزاء لنوح على صبره على أذى قومه وهو المكفور به؛ فاللام في ﴿لِّمَن﴾ لام المفعول له؛ وقيل: ﴿كُفِرَ﴾ أي جحد؛ فـ «من» كناية عن نوح. وقيل: كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب؛ أي عقابا لكفرهم بالله تعالى. وقرأ يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد « جزاءً لمن كان كَفَرَ » بفتح الكاف والفاء بمعنى: كان الغرق جزاء وعقابا لمن كفر بالله، وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق؛ كان الماء إلى حجزته. وسبب نجاته: أن نوحا احتاج إلى خشبة الساج لبناء السفينة فلم يمكنه حملها، فحمل عوج تلك الخشبة إليه من الشام فشكر الله له

---

(١) ضعيف جدًا : الطبري (٢٧/ ٩٨) في تفسيره، وفيه موسى بن عبيدة الربذي : ضعيف جدًا .

(٢) صحيح إلى قتادة : وفيه ضعف إلى القرطبي ،وصحيح إلى ابن زيد : الطبري (٢٧/ ٩٨) في تفسيره .

(٣) صحيح إلى الحسن : الطبري في تفسيره (٢٧/ ٩٩) .

(٤) ضعيف : السابق (٢٧/ ٩٩) ، والكلكل: الصدر .

(٥) سبق تخريجه .

(٦) هذا لا يصح : وإنما يصح :« مرضت ولم تعدني» كما هو في صحيح مسلم، وقد سبق .

ذلك، ونجاه من الغرق [١]. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ يريد هذه الفعلة عبرة. وقيـل: أراد السفينة تركها آية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل. قال قتادة: أبقاها الله بباقردى من أرض الجزيرة عبرة وآية، حتى نظرت إليهـا أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة كانت بعدهـا فصارت رمادا [٢]. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ متعظ خائف، وأصله مذتكر مفتعـل من الذكر، فثقلت على الألسنة فقلبت التاء دالا لتوافق الذال في الجهر وأدغمت الذال فيها. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي الإنذار والنذير. قال الفراء: الإنذار والنذير مصـدران. وقيل: ﴿وَنُذُرِ﴾ جمع نذير ونذير بمعنى الإنـذار كنكير بمعنى الإنكار. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه؛ فهل من طالب لحفظه فيعان عليه؟ ويجوز أن يكون المعنى: ولقد هيـأناه للذكر مأخـوذ من يسر ناقتـه للسفر: إذا رحلهـا ويسر فرسـه للغزو إذا أسرجه وألجمه؛ قال[الأعرج]:

وقُمْتُ إليهِ باللِّجامِ مُيَسِّراً هُنَالكَ يَجْزِيني الذي كنتُ أَصْنَعُ

وقال سعيد بن جبير: ليس من كُتُب الله كتابٌ يقرأ كله ظاهرا إلا القران [٣]؛ وقال غيره: ولم يكن هذا لبني إسـرائيل، ولم يكونوا يقـرؤون التوراة إلا نظرا، غـير مـوسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صـلوات الله عليهم، ومن أجل ذلك افـتتنوا بعـزير لما كتب لهم التـوراة عن ظهر قلـبه حين أحرقت؛ على ما تقـدم بيانه في سورة « براءة » [٤]، فيسـر الله تعالى على هذه الأمة حـفظ كتابه ليذكروا ما فيه؛ أي يفتعلوا الذكر، والافتعال هو أن ينجع فيهم ذلك حتى يصير كالذات وكالتركيب. فيهم. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قارئ يقرؤه. وقال أبو بكر الوراق وابن شـوذب: فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه، وكرر في هذه السورة للتنبيـه والإفهام. وقيل: إن الله تعالى اقتص في هذه السورة على هذه الأمة أنبـاء الأمم وقصص المرسلين، وما عـاملتهم به الأمم، وما كـان من عقبى أمـورهم وأمور المرسلين؛ فكان في كل قصـة ونبأ ذكر للمسـتمع أن لو ادكر، وإنما كرر هذه الآية عند ذكـر كل قصة بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ لأن ﴿هَلْ﴾ كلمة استفهام تستدعي أفـهامهم التي ركبت في أجوافهم وجعلها حجة عليهم؛ فاللام من ﴿هَلْ﴾ للاستعراض والهاء للاستخراج.

---

(١) هذه فرية وكذبة أخرى درج بعض أهل التفسيـر على نقلها ، ولك أن تتصور أن الإمام الطبري وصف (عوج بن عنق) أو (عناقا) هذا بأنه كان (كافرًا ، متمردًا ، جـبارًا ، عنيدًا) ،ويقولون : كان لغير رشدة (ابن الزنا) إلى غير هذه الأخبار التي جعلتـه رجلاً طوله : ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثُلثًا !! وأنه ظلّ حيًا حتى عهد موسى عليه السلام !! وهى أخـبار مخالفة لصريح القرآن ، وصحيح السنة ، ورحم الله ابن القيم إذ قال : « وليس العجب من جرأة مـثل هذا الكذّاب على الله ، وإنما العجب من يدخل مثل هذا الحديث في كتب العلم من التـفسيـر وغيره ، ولا يبين أمـره » ثم قال:« ولا ريب أن هذا وأمثـاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأتباعهم ». المنار المنيف (ص٣٠) .

وحكم بوضع هذه القصة ابن كثير ـ رحمـه الله ـ في البداية النهاية (١/ ١٧٣، ١٧٤) ،وصاحب التهذيب (٦/ ١٧٩) ، والذهبي في الميزان (٢/ ٦٤١) .

(٢) **مرسل صحيح** : الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٠٠) .

(٣) ذكره الشوكاني (٧/ ٩٢) في فتح القدير، والبغوي من كلام سعيد في تفسيره (٧/ ٤٢٩) .

(٤) عند الآية (٣٠) .

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ هم قوم هود. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ وقعت ﴿نُذُرِ﴾ في هذه السورة في ستة أماكن محذوفة الياء في جميع المصاحف، وقرأها يعقوب مثبتة في الحالين [١]، وورش في الوصل لا غير [٢]، وحذف الباقون. ولا خلاف في حذف الياء من قوله: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٥] والواو من قوله: ﴿يَدْعُ﴾ فأما الياء من ﴿الدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] الأول فأثبتها في الحالين ابن محيصن ويعقوب وحميد والبزي [٣]، وأثبتها ورش وأبو عمرو في الوصل [٤]، وحذف الباقون. وأما ﴿الدَّاعِ﴾ الثانية فأثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير في الحالين [٥]، وأثبتها أبو عمرو ونافع في الوصل [٦]، وحذفها الباقون ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي شديدة البرد؛ قاله قتادة والضحاك [٧]. وقيل: شديدة الصوت. وقد مضى في «حم السجدة» [٨]. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي في يوم كان مشؤوما عليهم. وقال ابن عباس: أي في يوم كانوا يتشاءمون به [٩]. الزجاج: قيل: في يوم أربعاء. ابن عباس: كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم [١٠]. وقرأ هارون الأعور: «نَحِس» بكسر الحاء وقد مضى القول فيه في ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]. و﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه، واستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك. وقيل: استمر بهم إلى نار جهنم. وقال الضحاك: كان مرا عليهم [١١]. وكذا حكى الكسائي أن قوما قالوا: هو من المرارة؛ يقال: مر الشيء وأمر أي كان كالشيء المر تكرهه النفوس. وقد قال: ﴿فَذُوقُوا﴾ والذي يذاق قد يكون مرا. وقد قيل: هو من المرة بمعنى القوة. أي في يوم نحس مستمر، مستحكم الشؤم كالشيء المحكم الفتل الذي لا يطاق نقضه. فإن قيل: فإذا كان يوم الأربعاء يوم نحس مستمر فكيف يستجاب فيه الدعاء؟ وقد جاء أن النبي ﷺ استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر. وقد مضى في «البقرة» حديث جابر بذلك. فالجواب - والله أعلم - ما جاء في خبر يرويه مسروق عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقضي باليمين مع الشاهد وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر» [١٢] ومعلوم أنه لم يرد بذلك أنه نحس على الصالحين، بل أراد أنه نحس على الفجار والمفسدين؛ كما

(١ ـ ٦) قراءات متواترة: تقريب النشر (ص١٧٧).

(٧) صحيح إلى قتادة: وذكره أيضًا عن الضحاك: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره.

(٨) عند الآية (١٦).

(٩، ١٠) ضعيفان: وقد ذكرهما البغوي في تفسيره (٧/ ٤٣٠).

قلت: ولا يصح هذا من قريب أو بعيد.

(١١) منقطع: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره بسند فيه انقطاع بين الطبري وشيخه الحسين.

(١٢) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا: ابن عدي في الكامل (١/ ٢٣٨)، وضعفه السيوطي في الدر (٦/ ١٨١)، وقد ضعف هذا الحديث بكل رواياته ورواته، وانظر: لسان الميزان (٤/ ٣٩٩)، والمجروحين (١/ ١٠٤)، ورواية المصنف مرسلة فلا يعتد بها.

كانت الأيام النحسات المذكورة في القرآن: نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمؤمنين به منهم، وإذا كان كذلك لم يبعـد أن يمهل الظالم من أول يوم الأربعاء إلى أن تزول الشمس، فإذا أدبر النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعاء المظلوم عليه، فكان اليوم نحسا على الظالم؛ ودعاء النبي ﷺ إنما كان على الكفار، وقول جابر في حديثه لم ينزل بي أمر غليظ [١] إشارة إلى هذا. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ في موضع الصفة للريح أي تقلعهم من مواضعهم. قيل: قلعتهم من تحت أقدامهم اقـتلاع النخلة من أصلها. وقال مـجاهد: كانت تقلعهم من الأرض، فـترمي بهم على رؤوسهم فـتندق أعناقهم وتبين رؤوسهم عن أجـسادهم [٢]. وقيل: تنزع الناس من البـيوت. وقال محـمد بن كعب عن أبيـه قال النبي ﷺ: « انتزعت الريح الناس من قـبورهم» [٣]. وقيل: حـفروا حُفَرا ودخلوها فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم، وتبقى تلك الحفر كأنها أصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعرة. يروى أن سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح. قال ابن إسحاق: لما هاجت الـريح قام نفر سبعـة من عاد سمي لنا منهم ستـة من أشد عاد وأجسـمها منهم: عمرو بن الحلى والحارث بن شداد ، والهلقام ، وابنا تقن ، وخلجان بن سعد فأولجوا العيال في شِعْب بين جبلين، ثم اصطفوا على باب الشِّـعب ليردوا الريح عمن في الشِّعب من العيـال، فجعلت الريح تجعفهم [٤] رجلا رجلا، فقالت امرأة من عاد:

ذهـبَ الـدَّهـرُ بعمـرو بـ ... ـن حلّـي والهـنـيّـات
ثـم بالحـارث والهِـلْـ ... ـقـامِ طَـلاَّعِ الثَّـنـيات
والذي سـدّ مـهبّ الـر ... يـح أيـام البـلِيّـات [٥]

الطبري [٦]: في الكلام حذف، والمعنى تنزع الناس فتتركهم كأنهم أعجاز نخل منقعر؛ فالكاف في مـوضع نصب بالمحـذوف. الزجـاج: الكاف في موضـع نصب على الحـال، والمعنى تنزع الناس مشبهين بأعـجاز نخل. والتشبيه قيل: إنه للحُفَـر التي كانوا فيها. والأعجاز جمع عَـجُز وهو مؤخر الشيء، وكانت عاد موصـوفين بطول القامة، فشبهوا بالنـخل انكبت لوجوهها. وقال: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾ للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكـر ويؤنث. والمنقعر: المنقلع من أصله؛ قعـرت الشجرة قعرا قلعتها من أصلـها فانقعرت. الكسائي: قعرت البئر أي نزلت حتى انـتهيت إلى قعرها، وكذلك الإناء إذا شربت مـا فيه حتى انتـهيت إلى قعره. وأقـعرت البئـر جعلت لها قعـرا. وقال أبو بكر بن الأنباري: سئل المبرد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألـف مسألة هذه من جملتها، فقيل له: ما الفرق بين قوله تـعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١] و﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢]،

---

(١) ضعيف: وقد سبق .

(٢) ضعيف للشك : الطبري (٢٧/ ١٠٥) في تفسيره ، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٦٠).

(٣) لم أجده إلا هنا .

(٤) تجعفهم : تصرعهم وتضرب بهم الأرض اللسان « جعف» .

(٥) معضل : وفـيه إسماعـيل بن عياش ، عن ابن إسحـاق وروايته عن غير الشـاميين ضعيفـة ، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٠٤) ، ومن طريق آخر رواه عن ابن حميد وهو متهم .

(٦) كذا في تفسيره (٢٧/ ١٠٥) .

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ ؟ فقال: كلما وردت عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيرا، أو إلى المعنى تأنيثا. وقيل: إن النخل والنخيل بمعنى يذكر ويؤنث، كما ذكرنا. ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ هم قوم صالح كذبوا الرسل ونبيهم، أو كذبوا بالآيات التي هي النذر ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ﴾ وندع جماعة. وقرأ أبو الأشهب وابن السميقع وأبو السمال العدوي: « أبشرٌ» بالرفع «واحدٌ» كذلك رفع بالابتداء والخبر ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾. الباقون بالنصب على معنى أنتبع بشرا منا واحدٌ نتبعه. وقرأ أبو السمال: « أبشر» بالرفع ﴿مِّنَّا وَاحِدًا﴾ بالنصب، رفع« أَبَشَرٌ» بإضمار فعل يدل عليه: ﴿أَأُلْقِيَ﴾ كأنه قال: أينبأ بشر منا، وقوله: ﴿وَاحِدًا﴾ يجوز أن يكون حالا من المضمر في ﴿مِّنَّا﴾ والناصب له الظرف، والتقدير أينبأ بشر كائن منا منفردا؛ ويجوز أن يكون حالا من الضمير في ﴿نَّتَّبِعُهُ﴾ منفردا لا ناصر له. ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ﴾ أي ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي جنون، من قولهم: ناقة مسعورة، أي كأنها من شدة نشاطها مجنونة، ذكره ابن عباس. قال الشاعر يصف ناقته:

تَخالُ بها سُعْراً إذا السَّفْرُ هَزَّهَا ذَمِيلٌ وإيقاعٌ من السَّيْرِ مُتْعِبُ

الذَّمِيلُ: ضرب من سير الإبل. قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرَّسِيم؛ يقال: ذَمَلَ وَيَذْمُلُ ويَذْمِلُ ذَميلا. قال الأصمعي: ولا يذمل بعير يوما وليلة إلا مَهْرِي قاله. وقال ابن عباس أيضا: السعر العذاب [١]، وقاله الفراء. مجاهد: بعد الحق [٢]. السدي: في احتراق [٣]. قال [طرفة بن العبد]:

أصحوتَ اليومَ أَمْ شَاقَتْكَ هِرّ ومِنَ الْحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ

أي متقد ومحترق. أبو عبيدة: هو جمع سعير وهو لهيب النار. والبعير المجنون يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة. ومعنى الآية: إنا إذا لفي شقاء وعناء مما يلزمنا.

قوله تعالى: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ أي خصص بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو أكثر مالا وأحسن حالا؟! وهو استفهام معناه الإنكار. ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي ليس كما يدعيه وإنما يريد أن يتعاظم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق. والأشر: المرح والتجبر والنشاط. يقال: فرس أَشِرٌ إذا كان مرحا نشيطا ،قال امرؤ القيس يصف كلبا:

فيدركنا فَغْمٌ داجنٌ سميعٌ بصيرٌ طَلُوبٌ نَكِرْ
أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَنِيُّ الضُّلُوعِ تَبُوعٌ أَرِيبٌ نَشيطٌ أَشِرْ

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٤٣٠).
(٢) ذكره السيوطي (٦/ ١٨٢) في الدر وعزاه للطبري وعبد بن حميد .
(٣) النكت والعيون للماوردي (٤/ ٢٠١) .

وقيل: ﴿أَشِرٌ﴾ بطر. والأشر البطر؛ قال الشاعر:

أَشِرْتُمْ بلُبْس الخَزِّ لمَّا لَبِسْتُمُ ... ومن قبلُ ما تَدْرونَ مَنْ فَتَحَ القُرَى

وقد أشر بالكسر يأشَر أشرا فهو أشر وأشْران، وقوم أشارى مثل سكران وسكارى؛ قال الشاعر:

وخَلَّتْ وعُولاً أشَارَى بها ... وقد أزْهَفَ الطَّعْنُ أبطالَهَ

وقيل: إنه المتعدي إلى منزلة لا يستحقها؛ والمعنى واحد. وقال ابن زيد وعبد الرحمن بن حماد: الأشر الذي لا يبالي ما قال [(١)]. وقرأ أبو جعفر وأبو قلابة «الأشَرّ» بفتح الشين وتشديد الراء يعني به أشرنا وأخبثنا. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ أي سيرون العذاب يوم القيامة، أو في حال نزول العذاب بهم في الدنيا. وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على أنه من قول صالح لهم على الخطاب [(٢)]. الباقون بالياء إخبار من الله تعالى لصالح عنهم. وقوله: ﴿غدًا﴾ على التقريب على عادة الناس في قولهم للعواقب: إن مع اليوم غدا؛ قال الحطيئة:

للموتِ فيها سِهامٌ غير مُخْطِئةٍ ... مَنْ لم يكن مَيِّتاً في اليومِ ماتَ غَدَا

وقال الطرماح:

ألاَ عَلِّلاَنِي قبلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ ... وقَبْلَ اضْطِرَابِ النَّفْسِ بَين الجَوَانِحِ

وقبلَ غَدٍ يا لَهْفَ نفسي على غَدٍ ... إذا رَاحَ أصحابي ولستُ بِرائِحِ

وإنما أراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه. ﴿مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ وقرأ أبو قلابة: «الأشَرّ» بفتح الشين وتشديد الراء جاء به على الأصل. قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشر والأخير إلا في ضرورة الشعر؛ كقول رؤبة:

بِلاَلُ خَيْرُ الناسِ وابنُ الأَخْيَرِ

وإنما يقولون: هو خير قومه، وهو شر الناس؛ قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[مريم: ٧٥]. وعن أبي حيوة بفتح الشين وتخفيف الراء. وعن مجاهد وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف، قال النحاس: وهو معنى ﴿الأَشِرُ﴾ ومثله رجل حَذِر وحَذُر.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٠ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ أي مخرجوها من الهضبة التي سألوها، فروي أن صالحا صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها، فخرجت ناقة عشراء وبراء ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي اختبارا وهو مفعول له. ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ أي انتظر ما يصنعون. ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ أي اصبر على أذاهم، وأصل

---

(١) صحيح إلى ابن أبي حماد: الطبري (٢٧/ ١٠٦) في تفسيره، وهو إسناد عالٍ.
(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٧).

الطاء في اصطبر تاء فتحولت طاء لتكون موافقة للصاد في الإطباق. ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أي أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين آل ثمود وبين الناقة، لها يوم ولهم يوم، كما قال تعالى: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]. قال ابن عباس: كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم، وإذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا. وإنما قال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لأن العرب إذا أخبروا عن بني آدم مع البهائم غلبوا بني آدم. وروى أبو الزبير عن جابر قال: لما نزلنا الحجر في مغزى رسول الله ﷺ تبوك، قال: « أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث الله لهم ناقة، فبعث الله عز وجل إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها، ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها» [(1)]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ الشِّربُ - بالكسر - الحظ من الماء؛ وفي المثل: «آخرها أقلها شربا» وأصله في سقي الإبل، لأن آخرها يرد وقد نَزِفَ الحوضُ. ومعنى: ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ أي يحضره من هو له؛ فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم؛ قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون [(2)].

قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني بالحض على عقرها ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ ومعنى تعاطى تناول الفعل؛ من قولهم: عَطَوتُ أي تناولت؛ ومنه قول حسان:

كلتاهما حَلَبُ العصيرِ فَعَاطِني ... بزَجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَلِ

قال محمد بن إسحاق: فكمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عُرْقوبها، فخرت ورغت رُغاءةً واحدة، تَحدَّرَ سَقْبُها من بطنها ثم نحرها، وانطلق سقبها حتى أتى صخرة في رأس جبل فرغا ثم لاذ بها، فأتاهم صالح عليه السلام؛ فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال: قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله. وقد مضى في « الأعراف » بيان هذا المعنى [(3)]. قال ابن عباس: وكان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى[(4)]. ويقال في اسمه: قُدار بن سالف. وقال الأفوه الأودي:

أو قَبْلَه كقُدَارٍ حين تَابَعَهُ ... على الغِوَايَةِ أقوامٌ فقد بادُوا

والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشؤوم آل ثمود؛ قال مهلهل:

إنَّا لَنَضرِبُ بالسُّيُوفِ رؤُوسَهمْ ... ضَرْبَ القُدَارِ نقيعةَ القُدَّامِ

وذكره زهير فقال:

فَتُنْتَجْ لَكُمْ غِلمانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ ... كأحمر عادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

يريد الحرب؛ فكنى عن ثمود بعاد.

---

(١) صحيح: أحمد في المسند (٣/ ٢٩٦)، والحاكم (٣٢٤٨) في المستدرك، وعزاه الهيثمي في المجمع (٦/ ١٩٤) لأحمد، والطبراني والبزار، وقال: « ورجال أحمد رجال الصحيح ».

(٢) وصحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/ ١٠٧) في تفسيره.

(٣) عند الآية (٧٧).

(٤) سبق تخريجه.

obeikandl.com

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يريد صيحة جبريل عليه السلام، وقد مضى في «هود» (١). ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ وقرأ الحسن وقتادة وأبو العالية: «المُحْتَظَرِ» بفتح الظاء أرادوا الحظيرة. الباقون بالكسر أرادوا صاحب الحظيرة. وفي الصحاح: والمحتظر الذي يعمل الحظيرة. وقرئ ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ فمن كسره جعله الفاعل ومن فتحه جعله المفعول به. ويقال للرجل القليل الخير: إنه لنكد الحظيرة. قال أبو عبيد: أراه سمي أمواله حظيرة لأنه حظرها عنده ومنعها، وهي فعيلة بمعنى مفعولة. المهدوي: من فتح الظاء من ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ فهو مصدر، والمعنى كهشيم الاحتظار. ويجوز أن يكون ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ هو الشجر المتخذ منه الحظيرة. قال ابن عباس: ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك؛ فما سقط من ذلك وداسته الغنم فهو الهشيم (٢). قال:

أَثَرْنَ عَجاجةً كدخان نارٍ تشبّ بغَرْقَدٍ بالٍ هَشِيمِ

وعنه: كحشيش تأكله الغنم (٣). وعنه أيضا: كالعظام النخرة المحترقة (٤)، وهو قول قتادة (٥). وقال سعيد بن جبير: هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح (٦). وقال سفيان الثوري: هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا (٧)، وهو فعيل بمعنى مفعول. وقال ابن زيد: العرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما (٨). والحظر المنع، والمحتظر المفتعل يقال منه: احتظر على إبله وحظر أي جمع الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع عن إبله؛ قال الشاعر:

تَرَى جِيَفَ المَطِيِّ بجانبيه كأنّ عِظَامَها خَشَبُ الهَشِيمِ

وعن ابن عباس: أنهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم؛ فالمحتظر على هذا الذي يتخذ حظيرة على زرعه، والهشيم فتات السنبلة والتبن. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٧ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ أخبر عن قوم لوط أيضا لما كذبوا لوطا. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ أي ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى؛ قال النضر: الحاصب: الحصباء في الريح. وقال

(١) عند الآية (٦٧).
(٢) ذكره ابن الجوزي (٥/ ٤٥٤) في زاد المسير.
(٣) ضعيف: الطبري (٢٧/ ١٠٨) في تفسيره.
(٤) ضعيف: فيه قابوس عن أبيه، وفيه لين كما عند الطبري (٢٧/ ١٠٨) في تفسيره.
(٥) صحيح إلى قتادة: السابق (٢٧/ ١٠٨).
(٦) حسن: الطبري (٢٧/ ١٠٣) في تفسيره.
(٧) ضعيف: فيه ابن حميد وهو متهم الطبري (٢٧/ ١٠٩) في تفسيره.
(٨) صحيح إليه: السابق (٢٧/ ١٠٩).

أبو عبيـدة: الحاصب الحجارة. وفي الصحاح: والحاصب الريح الشديـدة التي تثير الحصـباء وكذلك الحصبة؛ قال لبيد:

جَرَّتْ عليها أَنْ خَوَتْ من أهلِها أذيالَها كُلُّ عَصُوفٍ حَصِبَهْ

عصفت الريح أي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف. وقال الفرزدق:

مُستقبلينَ شِمالَ الشامِ تَضربُنَا بحاصِبٍ كنَديفِ القُطْنِ منثور

﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ﴾ يعني من تبعـه على دينه ولم يكن إلا بنتاه ﴿نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ قال الأخفش: إنما أجراه لأنه نكرة، ولو أراد سحر يوم بعينه لما أجراه، ونظيره ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: ٦١] لما نكره، فلما عرفه في قوله: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٩٩] لم يجره، وكذا قال الزجاج: ﴿سَحَرٍ﴾ إذا كان نكرة يُراد به سحـر من الأسحار يُصرف، تقـول: أتيته سحـرا، فإذا أردت سحر يومك لم تـصرفه، تقول: أتيته سحريا هذا، وأتيته بسحـر. والسحر: هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر، وهو في كلام العرب اخـتلاط سـواد الليل ببياض أول الـنهار؛ لأن في هذا الوقت يكون مـخاييل الليل ومـخاييل النهار. ﴿نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ إنعاما منا على لـوط وابنتيه؛ فهو نصب لأنه مـفعول به. ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ أي من آمن بالله وأطاعه. ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ يعني لوطا خوفهم ﴿بَطْشَتَنَا﴾ عقوبتنا وأخذنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي شكوا فيـما أنذرهم به الرسول ولم يصدقـوه، وهو تفاعل من المرية. ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ أي أرادوا منه تمكينهم ممن كـان أتاه من الملائكة في هيـئة الأضيـاف طلبـا للفـاحشـة على مـا تقـدم. يقال: راودته على كـذا مـراودة ورِوادا أي أردته. وراد الكلأ يَرُوده رَوْدا وريادا، وارتاده ارتيادا بمعنى أي طلبه؛ وفي الحـديث: « إذا بال أحدكم فليرتد لبوله» [(١)] أي يطلب مكانا لينا أو منحدرا. ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ يروى أن جبريل عليه السلام ضربـهم بجناحه فعموا. وقيل: صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق، كـما تطمس الريح الأعلام بما تسفي عليها من التراب. وقيل: لا، بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم . قال الضحاك: طمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل؛ فـقالوا: لقـد رأيناهم حين دخلوا البـيت فـأين ذهبوا؟ فـرجعـوا ولم يروهم [(٢)]. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فقلنـا لهم ذوقوا، والمراد من هذا الأمـر الخبر؛ أي فـأذقتهـم عذابي الذي أنذرهم به لوط. ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي دائم عام استـقر فيهم حـتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة. وذلك العذاب قلب قريتهم عـليهم وجعل أعلاها أسفلها. و﴿بُكْرَةً﴾ هنا نكرة فلذلك صرفت. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ العذاب الذي نزل بهم من طمس الأعين غـير العذاب الذي أهلكوا به فلذلك حسن التكرير. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تقدم.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ يعني القبط و﴿النُّذُرُ﴾ موسى وهارون. وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين. ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ معـجزاتنا الدالة على توحيدنـا ونبوة أنبيائنا؛ وهى العـصا،

(١) ضعيف : أبو داود في الطهارة (٣) ، وضعفه الألباني ، عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه.

(٢) مرسل: وفيه انقطاع بين الطبري وشيخه الحسين ،وانظر: تفسيره (٢٧/ ١١١) .

واليـد، والسنون، والطمسة، والطوفـان، والجراد، والقـمل، والضـفادع، والدم. وقـيل: ﴿النُّذُرُ﴾ الرسل؛ فقـد جاءهم يوسف وبنوه إلى أن جاءهم مـوسى. وقيل: ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار. ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ أي غالب في انتقامه ﴿مُقْتَدِرٍ﴾ أي قادر على ما أراد.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ خاطب العرب. وقيل: أراد كفار أمة محمد ﷺ. وقيل: استفهام، وهو استفهام إنكار ومـعناه النفي؛ أي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ أي في الكتب المنزلة على الأنبياء بالسلامة من العقوبة. وقال ابن عباس: أم لكم في اللوح المحـفوظ براءة من العذاب (١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾ أي جمـاعة لا تطاق لكثرة عـددهم وقوتهم، ولم يقل: منتصـرين اتباعا لرؤوس الآي؛ فـرد الله عليهم فقال: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ أي جمع كفار مكة، وقد كان ذلـك يوم بدر وغيره. وقراءة العامة ﴿سَيُهْزَمُ﴾ بالياء على ما لم يسم فاعله ﴿الْجَمْعُ﴾ بالرفع. وقرأ رويس عن يعقوب «سنَهزِم» بالنون وكسر الزاي «الجَمْعَ» نصبا (٢). ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ قراءة العامـة بالياء على الخبر عنهم. وقرأ عيـسى وابن إسحاق ورويس عن يعـقوب «وتولون» بالتـاء على الخطاب. و﴿الدُّبُرَ﴾ اسم جنس كـالدرهم والدينار فوحـد والمراد الجمع لأجل رؤوس الآي. وقـال مقاتل: ضـرب أبو جهل فـرسه يوم بدر فتـقدم من الصف وقال: نحن ننتصر اليوم من محـمد وأصحابه؛ فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾. وقال سعيـد بن جبير: قال سعد بن أبي وقـاص: لما نزل قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ كنت لا أدرى أي الجـمع ينهـزم، فلمـا كـان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقـول: « اللهم إن قريشـا جاءتك تحـادك وتحاد رسـولك بفـخرها وخـيلائهـا فأحنهم الغـداة » ثم قال: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ فعرفت تأويلها (٣). وهذا من معجزات النبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر. أحنى عليه الدهر: أي أتى عليه وأهلكه، ومنه قول النابغة:

أَحْنَى عليه الذي أَحْنَى على لُبَدِ

وأحنيت عليه: أفسـدت. قال ابن عباس: كان بين نزول هذه الآيـة وبين بدر سبع سنين؛ فالآية على هذا مكية. وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنـها قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (٤). وعن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «أنشـدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعـد اليوم أبدا» فأخذ

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٥٨).
(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٧٧).
(٣) معضل: زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٥٨)
(٤) صحيح: البخاري(٤٨٧٦) في التفسير

أبو بكر رضي الله عنه بيده وقال: حسبك يا رسول الله ،فقد ألححت على ربك؛ وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [١] يريد القيامة. ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي أدهى وأمر مما لحقهم يوم بدر. و﴿أَدْهَىٰ﴾ من الداهية وهي الأمر العظيم؛ يقال: دهاه أمر كذا أي أصابه دهوا ودهيا. وقال ابن السكيت: دَهَتْهُ دَاهِيَةٌ دَهْوَاء ودَهْيَاء وهي توكيد لها.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ أي في حيدة عن الحق و﴿سُعُرٍ﴾ أي احتراق. وقيل: جنون على ما تقدم في هذه السورة. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ خرجه الترمذي أيضا وقال: حديث حسن صحيح [٢]. وروى مسلم عن طاوس قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله يقولون: كل شيء بقدر [٣]. قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال النبي ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكَيس - أو الكيس والعجز» [٤] وهذا إبطال لمذهب القدرية. ﴿ذُوقُوا﴾ أي يقال لهم: ذوقوا، ومسها: ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها. و﴿سَقَرَ﴾ اسم من أسماء جهنم لا ينصرف؛ لأنه اسم مؤنث معرفة، وكذا لظى وجهنم. وقال عطاء: ﴿سَقَرَ﴾ الطبق السادس من جهنم. وقال قطرب ﴿سَقَرَ﴾ من سقرته الشمس وصقرته لوحته. ويوم مسمقر ومصمقر: شديد الحر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ قراءة العامة ﴿كُلَّ﴾ بالنصب. وقرأ أبو السمال «كلٌ» بالرفع على الابتداء. ومن نصب فبإضمار فعل وهو اختيار الكوفيين؛ لأن «إن» تطلب الفعل فهي به أولى، والنصب أدل على العموم في المخلوقات لله تعالى؛ لأنك لو حذفت ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ المفسر وأظهرت الأول لصار إنا خلقنا كل شيء بقدر. ولا يصح كون خلقناه صفة لشيء؛ لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا تكون تفسيرا لما يعمل فيما قبله.

الثالثة: الذي عليه أهل السنة: أن الله سبحانه قدر الأشياء؛ أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه، سبحانه لا إله إلا هو، ولا خالق غيره؛ كما نص عليه القرآن

---

(١) صحيح: البخاري (٢٩١٥) في الجهاد

(٢) صحيح: مسلم (٢٦٥٦) في القدر، والترمذي (٢١٥٧) في القدر.

(٣، ٤) صحيح: مسلم (٢٦٥٥) في القدر.

الكيس: ضد العجز. وهو النشاط والحذق بالأمور. شرح النووي على مسلم (٨/ ٤٢١).

والسنة، لا كما قالت القدرية وغيرهم: من أن الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا. قال أبو ذر رضي الله عنه: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فقالوا: الأعمال إلينا والآجال بيد غيرنا؛ فنزلت هذه الآيات إلى قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فقالوا: يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا ؟ فقال: «أنتم خصماء الله يوم القيامة» (١).

الرابعة: روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم». خرجه ابن ماجه في سننه(٢). وخرج أيضا عن ابن عباس وجابر قالا: قال رسول الله ﷺ: « صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب : أهل الإرجاء والقدر»(٣). وأسند النحاس: وحدثنا إبراهيم بن شريك الكوفي قال: حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال: حدثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « القدرية الذين يقولون: الخير والشر بأيدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا أنا منهم ولا هم مني» (٤)وفي «صحيح مسلم» أن ابن عمر تبرأ منهم ولا يتبرأ إلا من كافر (٥)، ثم أكد هذا بقوله: والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر (٦). وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤] وهذا واضح. وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن» (٧).

﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ أي إلا مرة واحدة ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر. واللمح النظر بالعجلة؛ يقال: لمح البرق ببصره. وفي الصحاح: لمحه وألمحه إذا أبصره بنظر خفيف، والاسم اللمحة، ولمح البرق والنجم لمحا أي لمع. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي أشباهكم في الكفر من الأمم الخالية. وقيل: أتباعكم وأعوانكم ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي من يتذكر.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي جميع ما فعلته الأمم قبلهم من خير أو شر كان

---

(١) مرسل ضعيف : الواحدى في أسباب النزول (ص٣٤١) ، وفيه بحر السقاء ضعيف، وشيخه مبهم .

(٢) حسن : لكن دون جملة (التسليم) ابن ماجه (٩٢) في المقدمة وحسنه الألباني هناك.

(٣) ضعيف : ابن ماجه (٧٣) في المقدمة ،وضعفه الألباني .

(٤) ضعيف جدًا : الديلمي في مسند الفردوس (٤٧٠٦)، وضعفه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٨٨) .

(٥، ٦) صحيح: مسلم (٨/ ١) في الإيمان .

(٧) واه: الديلمي في مسند الفردوس (١/ ١١٣) ،وانظر: الجامع الكبير للسيوطي (١/ ٨٥٣) ،وابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٥٠) ، والألباني في الضعيفة (٨٠٤) ،وعلته السري بن عاصم : وضّاع،وكان يسرق الحديث كما قال ابن عدي .

مكتوبا عليهم؛ وهذا بيان قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ أي في اللوح المحفوظ. وقيل: في كتب الحفظة. وقيل: في أم الكتاب. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أي كل ذنب كبير وصغير مكتوب على عامله قبل أن يفعله ليجازى به، ومكتوب إذا فعله؛ سَطَرَ يَسْطُرُ سَطْرًا كَتَبَ؛ واسْتَطَرَ مثله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ لما وصف الكفار وصف المؤمنين أيضا. ﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني أنهار الماء والخمر والعسل واللبن؛ قاله ابن جريج. ووحد لأنه رأس الآية، ثم الواحد قد ينبئ عن الجميع. وقيل: في ﴿نَهَرٍ﴾ في ضياء وسعة؛ ومنه النهار لضيائه، ومنه أنهرت الجرح؛ قال الشاعر:

مَلَكتُ بها كَفِي فأنهرتُ فَتقَها ... يَرَى قائمٌ من دونها ما وراءَها

وقرأ أبو مجلز وأبو نهيك والأعرج وطلحة بن مصرف وقتادة: «نُهُرٍ» بضمتين كأنه جمع نهار لا ليل لهم؛ كسحاب وسحب. قال الفراء: أنشدني بعض العرب:

إنْ تَكُ ليليًا فإنِّي نَهِرُ ... مَتَى أرى الصُّبحَ فلا أَنتَظِرُ

أي صاحب النهار. وقال آخر:

لَوْلا الثَّرِيدَانِ هَلَكنا بالضُّمُرْ ... ثَرِيدُ لَيْلٍ وثَرِيدٌ بالنُّهُرْ

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي يقدر على ما يشاء. و﴿عِندَ﴾ ها هنا عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة. قال الصادق: مدح الله المكان الصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. وقرأ عثمان البتي «في مَقَاعِدِ صدق» بالجمع؛ والمقاعد مواضع قعود الناس في الأسواق وغيرها. قال عبد الله بن بريدة: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى، فيقرؤون القرآن على ربهم تبارك وتعالى، وقد جلس كل إنسان مجلسه الذي هو مجلسه، على منابر من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة بقدر أعمالهم، فلا تقر أعينهم بشيء قط كما تقر بذلك، ولم يسمعوا شيئا أعظم ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى منازلهم، قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد (١). وقال ثور بن يزيد عن خالد بن معدان: بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فيقولون: يا أولياء الله انطلقوا؛ فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة؛ فيقول المؤمنون: إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا، فيقولون: فما بغيتكم؟ فيقولون: مقعد صدق عند مليك مقتدر (٢). وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى؛ ففي الخبر: أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل تزفها الملائكة إلى الجنة والناس في الحساب، فيقولون للملائكة: إلى أين تحملوننا؟ فيقولون: إلى الجنة. فيقولون: إنكم لتحملوننا إلى غير بغيتنا؛ فيقولون: وما بغيتكم؟ فيقولون: المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (٣)، والله أعلم.

تم تفسير سورة «القمر» والحمد لله.

---

(١) ضعيف: عزاه السيوطي في الدر(٦/١٨٨) للحكيم الترمذي موقوفًا على ابن بريدة.

(٢) ضعيف: مرسل، وهو خبر يحتاج إلى توقيف، وانظر: السابق (٦/١٨٨) وعزاه للحكيم الترمذي هناك.

(٣) هذا مروى عن أبي يزيد البسطامي وانظر: السابق (٦/١٨٨).